تحديات الحركة الإسلامية من منظور غربي

حوار مع الدكتور فرانْسُوَا بورجـا

أجرى الحوار د . رفعت سيد أحمد

الدكتور (فرانسوا بورجا) باحث فرنسي متخصص في شؤون الحركات الإسلامية ، وخاصة في العالم العربي ، والرجل له خبراته الطويلة في هذا المجال ، وأصدر عدداً من الكتب المهمة والتي لاقت أصداءاً إيجابية في العالم العربي ، وأهمها كتابه الشهير (الإسلام السياسي : صوت الجنوب - قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال إفريقية) وقد تُرجم الكتاب إلى العربية ، وكان آخر كتبه عن الحركة الإسلامية في مصر ، وقد ترجم إلى الإنجليزية إلا أنه لم يترجم بعد إلى العربية ، وقد طوف (بورجا) بالعديد من البلدان العربية وأقام في بعضها سنين عدة لتعميق رؤيته في هذا الشأن المثير لدى الرأي العام الغربي ، وقد انتهى به المطاف في العاصمة اليمنية (صنعاء) مديراً للمركز الفرنسي للدراسات والوثائق، (المنار الجديد) حاورت الدكتور (بورجا) في عدد من القضايا والإشكالات الفكرية والسياسية التي فرضتها الحركة الإسلامية على الرأي العام الغربي ، وأجهزة الإعلام هناك وصانعي القرار السياسي ، والرجل كان صريحاً إلى حد كبير ،

كما كانت إجاباته تتميز بالموضوعية والنزاهة البعيدة عن التعصب والتسطيح ، وإن كنا نختلف معه حتماً في نظرته إلى بعض القضايا .

لقد طوّفنا معه في الحديث عن أسباب السطحية المتعمدة والمشوهة التي اصطبغ بها الإعلام الغربي في تناوله للظاهرة الإسلامية دون غيرها ، وتطرق الحوار إلى محاولات تفسير ظاهرة الإحياء الإسلامي والنزوع إلى حصرها في أسباب اقتصادية دون البحث في الأبعاد الفكرية والحضارية لها كحركة اجتماعية تبحث عن استعادة هُوية الأمة ، وسألناه عن رأيه المثير - والمخالف للاتجاه العام في الثقافة الغربية - والذي يذهب فيه إلى أن الحركات الإسلامية في جوهرها ليست ضد الحداثة ، وإنما هي حركات تحديثية تبحث عن (العصرنة) وفق منظور وهوية مغايرة لما تفرضه الثقافة الغربية ، وسألناه عن الازدواجية التي يتعامل بها الإعلام الغربي مع قضايا المرأة في العالم الإسلامي ، والسر وراء احتضانه للشخصيات النسائية المتغربة والنفخ فيهن ومحاولة صناعة نجوم إعلامية من بينهن ، في الوقت الذي يقف فيه موقفاً مشوباً بتهمة الاضطهاد كما حدث مع الفتيات الجزائريات المحجبات ، وسألناه عن الهواجس الفرنسية الاجتماعية والسياسية من الحركة الإسلامية ومجمل النشاط الإسلامي في فرنسا وهل كان لها ما يبررها ، وسألناه عن ظاهرة الموقف الاستئصالي الذي تتبناه بعض النخب الغربية والنخب اللادينية العربية - كذلك - ضد الحركة الإسلامية والذي ولّد موقفاً استئصالياً مضاداً لدى

بعض الحركات الإسلامية ، فهؤلاء أعلنوا : (لا حرية لأعداء الحرية) ، والآخرون أجابوا : (لا حرية لأعداء الإسلام) ، ثم اختتمنا معه الحوار بسؤاله عن رأيه في أخطاء الديبلوماسية الفرنسية في العالم العربي ، وتقييمه لهذه التصرفات وتقديره لمستقبل العلاقة بين فرنسا والعالم الإسلامي .

المنار الجديد : يبدو جلياً من متابعة ما يُنشر في الإعلام الغربي أن هناك ميلاً إلى التصوير الأحادي للإسلام كقوة شرسة يهيمن عليها ويوجهها - بيد حديدية - المتطرفون والأصوليون والإرهابيون وأعداء الديمقراطية وغيرهم من خصوم السلام ولعلكم تشاركوننا في الرأي

في أن هذا الرسم (الكاريكاتيري) لا يسهم بحال في إعطاء تفسير موضوعي ومعقول لظاهرة سياسية تتعدد جوانبها بأكثر مما يظن البعض ، في مواجهة هذا التصوير الكاريكاتيري هل يمكن أن تقدم لنا تعريفك لما تعنيه (الصحوة الإسلامية) بالضبط وأبعادها المختلفة ؟ .

- فرانسوا بورجا : يفتح هذا السؤال على الأقل ثلاثة مستويات من النظر ، فمن ناحية تتصاعد التيارات الإسلامية في العالم العربي كحركات معارضة لأنظمة كلها مستهلكة وسلطوية بدرجات قد تقل أو تكثر. ومن ناحية ثانية نجد تطوّراً في علاقات القوة بين

جانبي البحر المتوسط. وهناك ثالثاً الأهمية والبروز للمجتمعات الإسلامية في أوروبا. وأعتقد أننا يجب - لضرورة التحليل ووضوحه - أن نفصل بين هذه الجوانب الثلاثة حتى وإن كانت تتداخل فيما بينها إلى حد كبير. وبدون الوقوع في خطيئة (النسبية الثقافية) يبدو لي في الواقع أمر جوهري أن نتذكر أنه عندما يغير المرء موقعه في أي جانب من جانبي البحر المتوسط فإنه يغير جزئياً من مجموعة المشاكل أو الإشكالية التي تواجهه. وقد تعلقت دراساتي - أنا شخصياً قبل كل شيء - بالديناميكية السياسية في جنوب البحر المتوسط أي في المجتمعات ذات التقاليد الثقافية والدينية الإسلامية عموماً. وقد سعيت قبل أي شيء آخر إلى الإجابة عن السؤال حول سبب نشوء هذا الجيل السياسي الإسلامي والبحث عن تفسير في هذا النطاق للتنوع الذي لا ينفد والطاقات الديناميكية الداخلية الكامنة وراء النظرة السطحية. ولم يتضمن تحليلي للأصل التاريخي للظاهرة وتقييمي الذي وُصف ذات مرة (بالمتفائل) - حيال قدرة الأطراف الفاعلة على مواصلة عملية التحديث الاجتماعي والتحرر السياسي التي أجهضها الجيل المسمى باللاديني(العلماني) والذي تمسك بأعنّة السلطة الآن - أية إجابة واضحة على السؤالين الآخرين : حول قدرتنا على الحفاظ على وضعنا في ديناميكية إعادة التوازن بين الشمال والجنوب وحول (الإسلام الأوروبي). ومن الواضح إذن أن (تفاؤلي) الحقيقي أو المفترض إزاء تطور الديناميكيات المعارضة في العالم العربي لم يُودِ بي إلى تجاهل أو

إنكار حجم التحديات المختلفة التي علينا أن نواجهها اليوم ، سواء أكانت تحديات التوازن الجيوبوليتيكي بين الشمال الطاعن في السن الذي نعيش فيه وحيوية الجنوب (الشاب) ذي الأغلبية المسلمة أم التحديات التي يمثلها تأكيد المجتمعات الإسلامية لذاتها في مناطق ذات تراث مسيحي ولاديني في نفس الوقت. إن مجموع مستويات التحليل بل الفعل ، في ظهوره للوعي بدرجة أو بأخرى - إدراك المعارضة الإسلامية في البلاد العربية وصعود وبروز الإسلام في أوروبا ومستقبل العلاقات بين الشمال والجنوب - يؤدي كثيراً جداً إلى إدراج كامل ملف علاقتنا بالإسلام ضمن رؤية أسطورية أعتقد جازماً أنها تضفي الغموض ؛ ولذلك تزيد من حدة التحديات الواقعية التي تضعها أمامنا نهاية القرن ولا تساعد على توضيحها. وفي نظر العديد من مواطنِيّي تبدو الآن كتائب الأصوليين الثوار وهي آخذة في الهجوم على المجتمعات في جنوب البحر المتوسط وتسعى هناك إلى محو آخر آثار أعمالنا الحضارية في تلك المنطقة ومعها تلك الحفنة من الأبطال اللادينيين والديمقراطيين الذين يحاولون المحافظة على تلك الآثار. وبعد أن يصل هؤلاء البرابرة الجدد إلى السلطة فسوف يتحولون ضد القلعة الأوروبية مستغلين في ذلك (حصان طروادة) أو المجتمعات الإسلامية المهاجرة التي يسهم وجودها في أوروبا في تفتيت التماسك الفكري "الأيديولوجي" للصروح القومية وإضعاف مقاومتها.

المنار
الجديد :
لعل أحد
أهم أسباب
هذه
النظرة
الأسطوري
ة
المغلوطة
في الوعي
الغربي
تجاه
الإسلام
تعود إلى
ما استقر
في كثير
من الدوائر
الغربية من
أنه يوجد
تنافر
بالطبع بين
الإسلام
وبين قيم
التعددية
وتداول
السلطة
واحترام
إرادة
الشعوب
وخياراتها
ومجمل
القيم
الديمقراط
ية من
شأنه في
نهاية
المطاف
أن يحُول
دون أي
شكل من
أشكال
الانفتاح
على
العصر

الحديث
من جانب
الإحياء
الإسلامي
الجديد
وحركات
الإسلام
السياسية.
ولكنك في
كتابك
الأخير
(الحركة
الإسلامية
في
المواجهة)
طرحت
رؤية
مختلفة
إلى حد
كبير عن
النظرة
السابقة ،
حتى أنك
قلت
بوضوح
إنك لا
تتردد في
الذهاب
إلى أن
الحركة
الإسلامية
تشارك في
عملية
معقدة من
المواءمة
من شأنها
أن تعمل
في صالح
توسيع
نطاق هذا
التحديث
وليس في
إيقافه أو
تعويق

مسيرته.
هل لك أن
توضح لنا
إذن كيف
يمثل
الإحياء
الإسلامي
طريقاً
محتملاً
إلى
العصرنة
وإلى
التحديث ؟

- فرانسوا بورجا : لقد اخترت من ناحيتي ومنذ فترة طويلة أن أفسر الظاهرة الإسلامية بأنها تعبير عن ديناميكية تتعلق أساساً بالهوية تواصل على الساحة الثقافية والأيديولوجية والرمزية ديناميكية القضاء على الاستعمار القديم . كانت هذه هي النواة الأساسية لتحليلي. وحتى إذا كانت عملية إعادة أسلمة (نظام التصورات) أو (القيم الثقافية) للمجتمعات في جنوب البحر المتوسط تنطوي على بوادر لتجاوزات محتملة ، شأنها في ذلك شأن أي رد فعل فإنها بدت لي عملية طبَعية نسبياً ولا يصح الحديث عنها فقط بمصطلحات الأمراض الاجتماعية. فهذه العملية تندرج في إطار الديناميكية القومية أو توجه الهوية الذي ردت به المجتمعات في أطراف التوسع الأوروبي الاستعماري على صدمة الهيمنة السياسية الأوروبية بعد الاعتناق الثقافي لمبادئها التي ربطت بها في وقت من الأوقات كل أشكال التقدم وبعد عملية إضفاء الطابع الأثري على عالم رموز الثقافة الإسلامية والتي تفككت تحت

وطأة تلك العملية. وقد تعرضت لهذا التحول التاريخي في أول كتاب صدر لي هو "الإسلام في المغرب" والذي كان عنوانه الفرعي "صوت الجنوب" مُلئ بالمغزى. أما الاستنتاج الرئيسي الذي خرج به كتاب "الحركة الإسلامية في المواجهة" بعد ذلك أن ذلك الجيل السياسي - الذي وُلد من رحم عملية إعادة التمركز السياسي والثقافي وعلى الرغم من خطابه الرافض للنموذج الغربي - منغمس حقاً في متابعة الديناميكية المزدوجة للتحرر السياسي والتحديث الاجتماعي "أو نزع الطابع التقليدي" واللذين بدئ بهما في أعقاب الجدل في مطلع القرن على يد الجيل المسمى (باللاديني) والذي سبق الجيل الحالي. إن عملية الابتعاد الرمزية عن بعض منتجات الحداثة الغربية والتي تظهر دائماً كواجهة للتيار الإسلامي وتثير لدى خصومه أشد ردود الفعل حدة وألما كانت في حد ذاتها الشرط اللازم لعملية إعادة الالتزام - وإنْ بشكل انتقائي - بهذا التراث المفروض. وقد طرحت بشكل ما الفكرة التي تقول : بأنه إذا كان الفشل قد أصاب جزئياً عملية نقل كل ما له قيمة عالمية شاملة - بحق - في تراث العصرية الغربية خلال أو في سياق الهجمة الاستعمارية فإن ذلك قد يعود إلى ضعف الرابطة بين تلك المنتجات العصرية بالقيم الثقافية المحلية. ويبدو لي أن القدرة الاستيعابية الإسلامية تعمل في هذه الآونة على إعادة كتابة أو رسم هذه المنتجات بألوان الثقافة الإسلامية المحلية. كما ذهبت إلى أن الإشارة إلى هوية حقيقية أو أسطورية ليس هو الأمر المهم هنا وهو لا يحد الأطراف التي

تعلن عن نفسها في القنوات التي توقف كل ديناميكية للتحديث، وذلك على العكس مما يتصوره الكثير من المراقبين ممن يتعجلون الأمور أو ينغلقون داخل مواقف عقيمة من رد الفعل.

المنار الجديد : الحقيقة أن قضية وضع المرأة في الإسلام والتي أثارت الكثير من اللغط ، وسوء الفهم هي موضع خلاف جوهري بين الإسلاميين والغرب. وقد كانت قضية الحجاب (غطاء الرأس) الذي ارتدته التلميذات المسلمات في المدارس العامة "الفرنسية " نموذجاً بالغ الدلالة للمشاعر العدائية التي

تثيرها تلك القضية لدى الرأي العام الغربي ، بالمقابل نجد الحفاوة المريبة من نفس الدوائر بالشخصيا ت النسائية الشرقية التي تتعمد إهانة المقدسات الإسلامية ، أو ثوابت الإسلام.

ما هو تقييمك لتلك الفكرة (الأسطوري ة) هي الأخرى والمسيطر ة والتي تقول إن الاتجاه الإسلامي يعني بدون شك بالنسبة للمرأة وضعاً متدنياً وما هي قراءتك للعلاقة بين الإسلام والمرأة ؟ .

- فرانسوا بورجا : هذه القضية في الواقع مثار أكثر النظرات حدة وأحادية من جانب الرأي العام الغربي. ففي شمال البحر المتوسط ينظر للنضال الضروري والمشروع û الذي تقوم به نساء الجنوب للتحرر من قيود الهيمنة "الذّكَرِية" في التراث المتوسطي "وهي هيمنة لا تحتاج بالضرورة إلى التماس السند من الأسس الدينية لتدافع عن نفسها، لكن تلك قضية أخرى" û باعتباره نضالاً تقوم به فقط طليعة من (المحاربات النسوة الشجاعات) على الرغم من أن تلك اللواتي يظهرن في وسائل إعلامنا وفي تصوراتنا وكأنهن يحتكرن هذا النضال العالمي للمرأة لا يحتكرنه في مجتمعاتهن . وإذا نظرنا عن قرب إلى تصرفات (تسليمة نسرين) أو عن بعد إلى داعيات النسوية الجزائريات فسنفهم على الفور لماذا تحظى بطلات الإعلام الفرنسي في مجتمعاتهن الأصلية بشعبية سلبية للغاية وبفاعلية تتناسب عكسياً مع ما يتمتعن به من شهرة في الإعلام الفرنسي. ففي زيارتها لباريس تبعد تسليمة نسرين عينيها عن كنيسة نوتردام دي باريس رافضة أن تنظر إلى ذلك الرمز (للظلامية الدينية التي أدت إلى تحقير المرأة) ، ومثل هذه التصرفات التي تسيء فهم إدراك الغرب الثقافي حتى وإن كان علمانياً بشكل صارم تجعلنا ندرك الغموض الكامن في هذه الفئة من المناضلات اللواتي تجلّهن الدوائر الثقافية الغربية . إن ذلك التعامل من جانب تسليمة نسرين لفخر الفن المعماري الديني في أوروبا يجعلنا نفهم كيف كان وقْع دعوتها

(لإعادة كتابة القرآن بشكل كامل)
على آذان الأغلبية الساحقة من
مواطنيها. كما أن الأساليب التي
تنتهجها داعيات النسوية الجزائرية
توضح أكثر من ذلك الجانب الآخر
من الصورة والأكثر سوءاً من تلك
المناضلة المتجولة، ألا وهو توحد
النضال النسوي مع مصالح
الأطراف السلطوية المحلية
والأطراف الغربية مما ينزع عنه
المشروعية إلى حد كبير في تلك
المجتمعات. وحتى لو دافعن عن
أنفسهن فإن الغالبية الكبيرة
منهن يشاركن بذلك في استلاب
النضال النسائي لصالح الأنظمة
التي تمتلئ سجونها بالناس. إن
النساء الجزائريات اللواتي
ينتقيهن إعلامنا بانتظام ويزكيهن
يتّسمن بوضع نضالهن - إنْ ضمناً
أو صراحة - في خدمة طغمة
عسكرية تفوقت في استغلال
المخاوف الغربية . لقد دعون
كلهن إلى إيقاف العملية
الانتخابية وباركن تعيين مجلس
نيابي خاضع بقبول بعضهن
الجلوس فيه. ولقد دعون
باستمرار إلى تشديد القمع
ومنحهن التأييد لإنشاء
الميليشيات التي هي حكومية أكثر
منها شعبية، والتي يستخدمها
النظام بالدعم والتحريك
لخصخصة عملية الاستئصال
المسلح للفريق الذي بلغت به
الجرأة إلى هزيمة الحكم في أول
اقتراعين جريا بحرية في تاريخ
البلاد. وليس نموذج تسليمة
نسرين هو الوحيد من نوعه. لكنه
يعمي في الحقيقة على وجود
الملايين من النساء الأخريات
اللواتي اخترن في سبيل العمل
من أجل نفس الأهداف اللجوء إلى
وسائل جد مختلفة. إن أول نموذج
من هذه النماذج البديلة هو هؤلاء
النسوة في الجنوب اللواتي - وإن

أحجمن عن الانخراط (الإسلامي) - لم يتأخرن على الأقل في إدراك المأزق الذي يؤدي إليه نموذج تسليمة نسرين. ففي عام 1994 وقّعت المناضلات التونسيات نداءاً يستنكر توظيف قضيتهن من جانب نظام الرئيس بن علي. وقد ناضلت نساء من الصحفيات والمحاميات هنا وهناك لا لتوسيع شقة انعدام الفهم بين التيار الإسلامي والبيئة الغربية بل لتضييقها ولم يكافحن لتشديد وطأة القمع على الإسلاميين لإيقاف التعذيب السري الذي يتعرض له هؤلاء. وهن لم ينشطن لتكثيف ستار الدخان الذي يحجب المثقفين الغربيين عن قراءة متعقلة لأصول العنف الذي يهز الجزائر وإنما لكي يقرر هؤلاء المثقفون أن يختاروا بعناية ما يتابعونه من الإعلام. وإحداهن هي اليسارية (لويزا حنون) زعيمة حزب العمال "الجزائري" وهي ترفض مساندة الدعاية الإعلامية للنظام وتدعو إلى أن يكون لخصومها السياسيين - الذين حصلوا مرتين على تأييد أغلبية الشعب الجزائري - الحق في الوجود القانوني. وهناك سيدة أخرى هي سليمة غزالي "رئيسة تحرير الأمة الأسبوعية" والتي حرصت دوماً على الفصل بين نضالها من أجل المرأة والمواطن وبين "الدكتاتورية العسكرية" . إن هؤلاء النسوة اللواتي يغفل الإعلام الغربي عنهن يقمن اليوم بدور في خدمة حقوق المرأة أكثر أهمية مما تقوم به الأوساط ذات الطابع السياسي أساساً وبالأخص القوى اللادينية التي وقعت على اتفاق روما. وهن لا يشهدن العالم فحسب على رغبتهن في الاعتراف المتبادل مع المعسكر الإسلامي وإنما لديهن الشجاعة

أيضاً في القيام بهذا الاعتراف المتبادل ، في وقت يضطر فيه ذلك الطرف الإسلامي - والذي لا يكاد يستطيع أن يبقي على رأسه فوق الماء تحت ضربات القمع والتشويه الإعلامي - إلى الاعتماد على معونة منافسيه العلمانيين. إن سمعة هؤلاء النساء إنما تتأكد اليوم في جانب التيار الإسلامي أكثر من جانب صاحبات الدعوة النسوية في استوديوهات التلفاز عندنا. وهن يدعمن إلى درجة لا حد لها من الكفاءة من القدرات السياسية للنساء غير الإسلاميات وغيرهن من النساء أكثر من اللواتي يغرقن في بحر من الانفعالات الأحادية الطابع - إلى درجة مفزعة - كل محاولات إعادة بناء النسيج السياسي للمعارضة الداخلية والدولية للاستبداد الجزائري . ومع ذلك يوجد مسار ثالث يغيب بالكلية عن أعمدة المجلات الفرنسية وعن أضواء التفسيرات المختصرة إلى حد منحل ومخجل لكبار كاتبي ورسامي الصور الكاريكاتيرية. وهذا هو نضال النساء اللواتي اخترن أن يجندن جهودهن من داخل نطاق الثقافة الإسلامية وفي احترام لكل ما يعتبرنه من التعاليم الدينية، وهن من يرتدين الحجاب. ولا يجب أن يسيء المرء فهم نوعية نضالهن : فإذا لم يجعلن من المرجعية الغربية بالضرورة نموذجاً عالمي الانطباق وإذا لم تكن (الميني جيب) في نظرهم يكافئ بنفس القدر من الشمولية حق التعليم والعمل والمشاركة السياسية فإن جوهر مناصرتهم للمرأة يكون هو نفسه كما أنهن يدافعن (من تحت الحجاب) عن هذه الحقوق بنفس القدر من القناعة بل وبفعالية أكثر، كما تشهد بذلك وبشكل

متضافر ملاحظات بحثية لا حصر لها، عن هؤلاء البطلات في إعلامنا واللواتي لا يتجاوز جمهورهن الفئة الضيقة المسماة (بالمتغربة) في مجتمعاتهن .

المنار الجديد : يلاحظ أن الأسباب التي يشار إليها - عموماً - لتفسير صعود الحركة الإسلامية ذات طابع اقتصادي في المقام الأول حتى أننا أصبحنا بإزاء معادلة ثابتة : الفقر = الإقصاء = الحركة الإسلامية . على الرغم من أن مثل هذا التفسير لا يسعفنا لفهم قوة الدفع الإسلامية في بلدان مثل المملكة العربية السعودية أو الكويت مثلاً ؟ ،

**ونلاحظ
بالمقابل
إصراراً
غريباً من
النخب
الغربية
يتوافق مع
إصرار
مشابه من
النخب
اللادينية
العربية
التي تتعمد
استبعاد
الأبعاد
المتعلقة
بالدين
والهوية
والإحياء
الحضاري.
من وجهة
نظرك
كيف تفسر
ظاهرة
التنامي
في قوة
الحركة
الإسلامية
على امتداد
العالم
الإسلامي
وحتى
الغرب؟.**

**- فرانسوا بورجا : إن السياق
السياسي والاجتماعي الذي تظهر
فيه قوة ذات جوهر يتعلق بالهوية
يضفي الغموض إلى حد كبير على
إدراك الناظر الأجنبي لها. كما أن
عذابات العنف السياسي
والاجتماعي الذي لا يرتبط بجوهر
تلك القوة يخفي دائماً حقيقتها أو**

حتى مجرد تعقد وتعددية تلك العملية الجارية. إن ديناميكية إعادة إضفاء الطابع الإسلامي تعد من مصادر الفائدة السياسية المهمة إلى حد أنك تجد الأنظمة والمعارضين يتنازعون عليها وليس في هذا مفاجأة. وهي بذلك تتداخل تماماً، وإن اختلفت ظروف ذلك التدخل من بلد إلى آخر مع الديناميكية الأخرى والمألوفة للغاية للتنازع بين الأنظمة التي وصلت إلى السلطة عقب الاستقلال ، وقد اضطر النظام المصري على سبيل المثال إلى توظيف مكانة (جامعة الأزهر) الإسلامية لمصلحته كما يوظف (وعاظ التلفاز) الذين لا تكاد تقليديتهم تختلف في شيء عن تلك التي يستهجنها النظام لدى خصومه (الأصوليين) وعندما تبين نظام الجنرال زروال (اللاديني) الحاجة إلى الطعن في الميثاق الذي وقّعه معارضوه الرئيسيون في روما من لادينيين وإسلاميين لم يتردد في إذاعة البرامج المطولة التي تدين الاتفاق وتعلن عدم قبوله لأنه (وُقّع في بلد الصليب à) وعموماً فإن قدرة (أصولية الدولة) التي تمارسها الأنظمة على مجاراة طاقة التعبئة التي يتميز بها (إسلام المواجهة) عند المعارضة قد أخذت تتدهور بشكل يزداد وضوحاً "وهذا التدهور يحدث في الجمهوريات (اللادينية) بأسرع مما يحدث في البلدان الأخرى". وبصرف النظر عن أن النخب الحاكمة قد تعرضت لتدهور عام فإنها قد تلقت في معظمها تراث (التحديثيين اللادينيين) من الطراز الذي روج له (بو رقيبة) أو (كمال أتاتُرك) مما يحد كثيراً من مصداقيتهم عندما يريدون اليوم أن يظهروا كقادة لحركة إعادة

الأسلمة. لقد كان الجيل الأول للنخب الاستقلالية المرتبطة بالسلطة هو الأكثر تشرّباً بالقيم الثقافية الغربية لأسباب تاريخية متنوعة. ويتحتم على الأنظمة القائمة أن تقدم بعض التنازلات (الأيديولوجية) لكي تستطيع استغلال المخاوف الغربية من (الأصولية) لمصلحتها وهذا أيضاً يحرمها من قسم من الفوائد السياسية لعملية إعادة الأسلمة. وحيث أن الأنظمة العربية هي الآن الأكثر سلطوية فإن صراع الأجيال السياسي، وهو أمر عادي، قد اتخذ شكل حروب الخلافة "يحدث هذا في مصر والجزائر بشكل حاد لكنه يسود في كل البلاد الأخرى بشكل أقل". إن حروب الخلافة هذه هي التي تمثل - على الأكثر - الأرضية التحليلية لقوة الدفع الإسلامية. ولابد أن لا نمل من التأكيد على أننا نترك هنا الديناميكية الثقافية أو الدينية أو ديناميكية الهوية لتدخل في نطاق الصراعات السياسية. والأطراف الداخلة في هذه الصراعات التي تنحدر هنا وهناك إلى حروب أهلية يمكن توصيفهم بأي نعت آخر غير (الدينية) كما أن اللغة التي يلجأون إليها لإضفاء المشروعية على أفعالهم لا تكفي بأي حال لتفسير مسلكهم. وتدخل ديناميكية الصراع الداخلي في كل نظام عربي بعد ذلك بشكل قد يكبر أو يقل على الصراعات الاجتماعية المألوفة.

والمعارضون الإسلاميون شأنهم في ذلك شأن أي معارضة في وضع أدنى اقتصادياً من النخب التي ظلت تتحكم في موارد سلطة الدولة لثلاثين أو أربعين عاماً وليس في ذلك ما يدهش ومن وجهة نظري لا يمثل هذا التصنيف الاجتماعي للحركة

الإسلامية ومعه الفكرة القائلة بأنه يمكن تفسيرها ومعالجتها والسيطرة عليها) كما يقولون في المجلات السياسية من خلال الاقتصاد ، أي مأزق تحليلي أو سياسي. فمن الممكن أن نجد حالة من الصحة السياسية والاقتصادية ونجد مع ذلك محاولات لمنازعة النظام الاستبدادي باستخدام مصادر الشرعية في الثقافة الوطنية أو اللجوء إلى المرجعية الدينية. وقد نجد حالة من الصحة الاقتصادية الكاملة ونجد معها استخدام لغة الإسلام (الدينية) لاستنكار الاحتلال العسكري الإسرائيلي ، كما فعلت القومية العربية (اللادينية) في الماضي وكما يفعل المسيحيون في فلسطين. إن وفرة الدولارات النفطية لم تَحُلْ دون أن تكون الأرضية السياسية في السعودية أو الكويت اليوم شبه (إسلامية) بالكامل. ويمكن القول بأن التفكك الثلاثي الأبعاد في : (الهوية والسياسة والمجتمع) والذي يصول ويجول في مجتمعات جنوب البحر المتوسط ويغذي الصراعات التي تربطها بالحركة الإسلامية بدون تمييز يكتسب الحدة من تدخلات المصالح الغربية السياسية والإعلامية. إن رد الفعل الغربي تجاه بروز النزعة الإسلامية يعد غير عقلاني إلى حد كبير إذا قورن برد الفعل تجاه بدايات التعبير عن القومية. وبعبارة أخرى فإننا نستعمل في مواجهة الإنقاذ الإسلامية نفس الإدانات التحليلية والسياسية التي استخدمناها في وجه عناصر جبهة التحرير الوطني. إن اللهجة التي تبرر مساندتنا المالية والسياسية للطغمة العسكرية الجزائرية تسعى دائماً إلى تأصيل نفسها

في أرضية (القيم) ، إن المثقفين الفرنسيين في مجموعهم وشتى فئاتهم يقولون : (فلنؤيدْ من يدافع عن قيمنا في الجزائر) ولكن من هم الذين يحرسون (قيمنا) في الجزائر اليوم ؟ ، كيف ننسى بسرعة هكذا أنهم هم أنفسهم الذين كنا نسميهم بالمتمردين منذ ثلاثين عاماً والذين قالت عنهم نفس الطبقة المثقفة وهي تخاطب العالم إنهم سوف يدمرون (قيمنا) لو وصلوا إلى الحكم في يوم ما ؟ وألم نقارن جمال عبد الناصر بهتلر عندما أراد تأميم قناة السويس ؟ . وفي الواقع يلقى الجيل الإسلامي استقبالاً أشد عنفاً بكثير مما لقيه القوميون الأوائل. إنك لا تجد قسماً في الرأي العام - على العكس مما حدث تجاه جبهة التحرير الوطنية التي اعترف بها قسم من اليسار ومن المسيحيين بدرجة أو بأخرى - لا يستعمل اليوم لغة الرفض قبل الجبهة الإسلامية للإنقاذ ووصمها بالشر، لا في اليسار ولا في اليمين ولا الاشتراكيين ولا الشيوعيين ولا المسيحيين. إن الأسقفية الفرنسية لم تتحد أبداً في مواقفها مع الأسقفية الجزائرية بوضوح إلا لسوء الحظ ، عندما اتخذت موقفاً لا يُغتفر ضد ميثاق روما وذلك لصالح بقاء الطغمة العسكرية . إن الطبقة السياسية الفرنسية لم تكتفِ بأن تتحول ضد لقاء سان ايجيديو ، بل سعت أيضاً إلى تخريبه بأن تقنع ألمانيا بحظر سفر مثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى إيطاليا مرتين. "و قد أقرت تلك الطبقة منذ ذلك الحين أشد المخالفات الانتخابية فظاظة وكان آخرها ما أدى إلى تحويل المجلس النيابي إلى ما يشبه المجلس البلدي الكبير من أجل

التحضير لضربة كبرى للمعارضة في الانتخابات التشريعية" . إن الديناميكية "القوة الدافعة" الإسلامية لا تفعل شيئاً على النطاق الرمزي أكثر من امتداد ديناميكية إزالة الاستعمار القديمة التي قبِل الساسة والمثقفون الفرنسيون كلهم - وإن في وقت متأخر جداً û عبرتها ولكن كما حدث في الماضي لا يرغب الإعلاميون عندنا في قراءة العنف في (الأحداث الجزائرية) إلا عبر منظور بيانات (التضليل الإعلامي) التي تصدرها السلطات العسكرية والتي يقنع الجميع بالنقل منها وتلخيصها في الإعلام . إن فرنسا -الثقافة والإعلام ما زالت اليوم تعطي الاحتكار لتصوير (الجزائريين) والأزمة التي تفتك بهم إلى القلة القليلة الذين يقولون لنا ما نحب أن نسمعه وباللغة التي نفهمها ويريحوننا بذلك كما كان يريحنا في الماضي الوهم المطمئن لنظرية (القوة الثالثة) ، إنه من المقبول والمريح حقاً أن نستمع إلى دعوة منح احتكار العالمية والعصرية لمصطلحاتنا السياسية فكيف نقاوم الشعور بالسرور ونحن نرى تلك الحفنة من السيدات العربيات البارزات اللواتي يقبلن بالظهور على شاشاتنا ليؤكدن لنا تفوق الموضة الغربية على الحجاب الإسلامي ، وكيف لا نشعر بالارتياح عندما نرى المطرب الجزائري القبَلي "البربري" الذي يقبل بأن يوصف (بالملحد) وهو يهاجم العروبة والإسلام بالفرنسية لا يهم بعد ذلك أن تكون القاعدة السياسية لديمقراطيينا الجزائريين في مجتمعهم تتناسب عكسياً للغاية مع بروزهم الإعلامي في فرنسا. ولا يهم بعد ذلك أن هؤلاء (الكُتاب)

و(الفنانين) الذين يبالغ الإعلام في إشهارهم لا يُذكر لهم من موقف آخر إلا تأييدهم للخيار اللاإنساني البالغ القهر والذي يكرهه الشعب بأسره تقريباً ، ولا يهم أن الديمقراطيين الجزائريين الحقيقيين - وهم موجودون بالفعل - قد اختاروا منذ زمن بعيد الهروب من الأضواء المفخخة لاستوديوهات التلفاز عندنا. إن التركيبة الإعلامية - السياسية التي أنتجت لنا اليوم مما أدينه باعتباره وصماً انفعالياً لا عقلانياً للجيل الإسلامي (بالشر) هو ما ينعكس بالخطر على مصالح الغرب السياسية والثقافية كما أنه ـ بكل تأكيد ـ لم يتعرّ أبداً من كل (منطقية) و(عقلانية) كما هو اليوم. فعندما (يشرح) لنا مقدمو النشرات التلفازية بكل ثقة جنون الباشتون الأفغان فإنهم ينسون باستمرار أن يذكروا أن تلك القبيلة قد طردت حكومة (إسلامية) مثلهم بالضبط وعندما يُرجعون تجاوزات الطالبان في تفسيرهم لها إلى سبب واحد هو "إسلاميتهم" ، فإنهم بذلك يأتون بفعل قاتل سياسي بقدر ما هو (مطمئن) فكرياً. وفي الواقع يعبر التيار الإسلامي عن نفسه اليوم في نطاق طيف يمتد من (الطالبان) الأفغان حتى أربقان رئيس الوزراء التركي المُقال ، أي من خلال وسائل للحركة تتصاعد من نوع من الحركة الشعبية الجذابة إلى ما يمكن أن نقارنه بالديمقراطية المسيحية في أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية وصولا إلى الصرامة البالية لقبيلة أفغانية "تؤيدها في الحرب الأهلية المستمرة بلا نهاية الولايات المتحدة والباكستان ضد إيران (الأصولية) ولكن هذا التحديد والتمييز يتناقض مع

النظرة الغربية التي تتعمد انتقاء أقل الجماعات الجزائرية أهمية لكي تقدمها للرأي العام على أنها تمثل التفسير الجوهري أو القطعي لكل أشكال النشاط السياسي التي تندرج تحت الإسلام هنا أو هناك، في الحاضر أو المستقبل. وإذا نظرنا بدقة سنجد أن الفوائد السياسية لهذا التوصيف بالشر لم تغبْ عن أذهان الجميع. إن سوق (الرعب الإسلامي) يتهافت عليها اليوم كل الأطراف الرسميين التابعين للدول التسلطية والإستبدادية في البحر المتوسط . إن نزع الأهلية عن الجيل الإسلامي يعمل اليوم في الواقع كآلة مخفية ترمي بالانفعالية واللاعقلانية كل أشكال المعارضة والمقاومة ومهما كانت درجة مشروعيتها - لسادة الأنظمة القومية والإقليمية والدولية. فلو كنت إسرائيلياً ونجحت في وصف خصمك (بالأصولي) فإنك تستطيع أن تنزع المشروعية عن جبهة المعارضة الفلسطينية الكبيرة لاتفاقات أوسلو حتى ولو كانت هذه الجبهة تشمل تنظيمات قادتها ذوو ثقافة مسيحية "مثل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين أو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" أو لادينية وتطمئن إلى تفوقك العسكري والإعلامي الساحق بذلك. وهل أنت زعيم عربي لطغمة عسكرية تتفوق في استخدام الإرهاب ؟ ، عليك إذن أن تطرح تكوين (حاجز ضد الأصولية) ، وسوف تتمكن بذلك û - بجانب الحصول التلقائي على ثقة بلا حدود بالمؤسسات المالية الدولية û- من أن تملأ سجونك وأوراق الاقتراع لصالحك وأن تدمر المصداقية بشكل دائم في أي بديل لدكتاتوريتك حتى ولو

كان ذلك البديل مكوناً من جبهة كبيرة للغاية تشمل القوى العلمانية مثل جبهة الجزائريين الذين وقعوا ميثاق روما ، وهل أنت û أخيراً û زعيم غربي (جماهيري) أو تحلم بأن تشغل منصباً مماثلاً ؟ عليك أن تعرف أن (الخطر الأصولي) يكفي لتحويل قلق مواطنيك إزاء عجزك عن طرح تصور لحل الأزمة الاجتماعية إلى أرصدة انتخابية ثمينة

المنار الجديد : هل يمكن افتراض أن شيوع هذه النظرات الاستئصالية ضد الحركات الإسلامية كان السبب المباشر في ظهور مواقف استئصالية أخرى لدى بعض الفصائل الإسلامية وظهر ما يشبه الدائرة المفرغة بين الشعار المرفوع من ناحية : (لا حرية لأعداء الحرية) والشعار المضاد (لا

اعتراف
بوجود
لأعداء
الإسلام) ،
كيف
تنظرون
إلى هذه
الأزمة
وإلى أي
مدى يمكن
أن تصل
أبعاد هذا
النفي
المتبادل ؟
وكيف
تنظرون
إلى
امكانيات
الخروج من
هذه
الدائرة
الخطرة ،
والتي لا بد
من الخروج
منها اليوم
أو غداً ؟ .

- فرانسوا بورجا : لقد تحفظت دائماً إزاء تقديم تقييم يزيد عن الحد في توصيفي (للإسلاميين) وإنما الذي أركز عليه فقط هو ضرورة استخدام معايير أخرى لتقييم الأطراف السياسية الفاعلة غير مصطلحاتهم هم الدلالية والرمزية وألح على ضرورة إعادة إدخال مبادئ التعددية وعلم الاجتماع والحركة والتاريخ على نظرتنا للمحيط الإسلامي. وقد عملت على إظهار أن فئة (الإسلامي) هذه û التي تتجه النظرة الخارجية إلى اعتبارها كياناً واحداً متجانساً û

تتميع إلى حد كبير كلما بذل المرء الجهد لملاحظتها عن قرب أكثر . وقد سعيت من هنا إلى إظهار أنني عندما أستعمل كلمة (الإسلاميين) بالمعنى العام فإنها لا تدل على أنهم (أشرار) أو (طيبون) أو أنهم (ديمقراطيون) أو (معادون للديمقراطية) أو أنهم دعاة أيديولوجية فريدة وكاملة وغير مادية ولازمانية، وإنما هم بالأكثر نتاج متغير لعملية واسعة من الربط بين نطاق إنتاج الأيديولوجيات السياسية بأسره وبين النطاق الرمزي للثقافة الإسلامية . إن نتاج عملية إعادة الاكتشاف هذه يشغل كامل طيف الاتجاهات السياسية. وهكذا فلا يتعلق الأمر بنفي لسلوك أو فعل هزيل عن قسم في الأطراف الداخلة في الديناميكية الإسلامية أو أن لديها النزعة (لقذف طفل التحديث العام مع مياه حمام الاغتراب الاستعماري) ، إن قسماً على الأقل من الحركة الإسلامية الشاسعة يرفض ويدحض بعض أوجه التحديث الموروثة من الغرب تحت ادعاء أنها نُقلت عبر ثقافة الأخر. إلا أن رد الفعل هذا أبعد عن أن يكون الاتجاه الوحيد وهذا ما يهم قبل كل شيء التركيز عليه وتذكّره. كذلك فقد سعيت إلى تبيان أنه على أرضية الواقع تتوقف اتجاهات الإسلاميين وسلوكياتهم السياسية أو أيديولوجيتهم ، كما تتوقف دائماً على المصير الذي توقعه بهم البيئة السياسية التي ينشأون فيها . نجد ذلك في أول رد المقاطعة من جانب سيد قطب - الحرمان الكنسي للمجتمع بأسره - استجابة للقمع والتعذيب الناصري إلى الجنون الدموي لقسم من الجماعة الإسلامية المسلحة الجزائرية في وجه

القمع الأعمى من جانب العسكريين وحلفائهم (الديمقراطيين) . إن الراديكالية الأيديولوجية والسياسية لقسم من الاتجاهات الإسلامية يتحتم ربطها بالإستراتيجيات التي تتبعها الأنظمة إزاءهم. وقد توصل بالفعل كل من كرس الوقت لملاحظة حقيقة ذلك) العنف الإسلامي) إلى وجود توترات يمكن تفسيرها تتعلق بالهوية قد زادت من حدتها المشاكل السياسية أو الاجتماعية العادية التي تصاعدت حدتها بدورها بسبب استبداد القوى المحلية وغشم البيئة الإعلامية والسياسية الدولية.

المنار الجديد : ولكن الذي حدث في الساحة الفرنسية ، أن الإعلام قد ضخم من بعض الحوادث التي تم فيها ضبط بعض الشبان المغاربة الذين يتعاطفون أو يدعمون الحركات الإسلامية في الجزائر ، ورأوا أنهم يشكلون تهديداً جدياً

للمجتمع
الفرنسي ،
في
تقديرك :
هل كان
حجم
الانفعال
مبرراً ؟.

- فرانسوا بورجا : في خضم عاصفة الحرب الأهلية الجزائرية وفي ظروف لم تتضح بالكامل حتى الآن أيدت بضع عشرات من الشباب المسلم الفرنسي سواء في أصول جزائرية أم لا المعارضة الإسلامية الجزائرية إلى حد تبني سلك القطيعة باسمها مع بيئتهم القومية. ولنذكر أولاً أبعاد الموضوع : فهو يتعلق بهامش ضئيل للغاية من المجتمع الإسلامي. لكن أتفق مع الرأي الذي يقول بعدم التهوين في شأنهم وبأنهم قد أظهروا إلى العلن نوعاً من المرض يوجد فعلاً خلف مظاهر أقل حدة، وهو مرض قد أصبح محور حديث الصحف والقسم الأكبر من برامج الأخبار الرئيسية في التلفاز في بحثها عن الأسباب û كما أسلفت û والقضية نشأت عن الثنائية أو الازدواجية بين النظرة إلى موقف صراعي تشعر بأنك متداخل فيه -كطرف فاعل في حالة البعض أو (كمراقب له وضع متميز) في حالة البعض الآخر - وبين تصوير بيئتك لهذا الموقف وتعاملها معه. لقد استمعت إلى بعض الشباب المغاربة من الطلبة وهم ليسوا من الأصوليين يقولون لي إنهم قد تعبوا من تجنب مشاهدة البرامج الإعلامية المتعلقة بالجزائر أو ببعض الصراعات

الأخرى ذات الأطراف المسلمة. وقد خبرت هذا المرض المؤلم بنفسي من خلال الكم الذي لا يصدق في سوء النية والتلاعب في كل التعبيرات المستخدمة لإضفاء المصداقية على صورة أحادية ومجتزأة بشكل فظيع حول العنف (الجزائري) وهناك كذلك القراءة المزدوجة المنحازة لكل النشاطات المعارضة الأخرى في تونس ومصر وحتى في السودان. وفي كل الحالات نجد نفس الاستغلال للمخاوف القديمة في الآخر في جنون تركت فيه العنصرية العرقية القديمة مكانها لشكلها الجديد الأيديولوجي والديني. ولكن لا تنتهي الحال إلى مسالك من القطيعة ذات أبعاد هائلة مع المجموع القومي ، علينا أن نقول إن هذا التشابك - بين التصالح مع الإسلام لدى قسم صغير في أفراد الجيل الثاني للمهاجرين وبين الانخراط النضالي لصالح القضايا (الأجنبية) -الفلسطينية ثم الأفغانية والبوسنية والشيشانية من ناحية الصراعات (الدولية) أو تأييد حركات المعارضة الإسلامية في معظم العالم العربي - لا ينجم بالضرورة عن انحراف مرضي ، إن المعالجات الأمنية فقط أو المعالجات (الاجتماعية) فقط لمن ينظر إليهم اليوم بمنظار (الراديكالية الدينية) لا تصلح بديلاً في الواقع عن تقييم واضح للأسئلة التي تثيرها ردود الفعل تلك إزاء تصرفات معينة للسياسة الخارجية الفرنسية. إن البلد الذي احتفل عام 1996 بذكرى الشجاعة التي أبدتها (الفرقة الدولية) و(أندريه مالرو) خلال النضال ضد الفاشية يبدو على العكس غير قادر على تقييم الصراعات الجارية في العالم

الإسلامي باستخدام معايير تنطوي على أقل قدر من الانطباقية الشاملة. وفي روسيا -السوفيتية سابقاً - نجد اليوم جيلاً كاملاً من الجنود يعانون من (العرض الأفغاني) أومن صعوبة تجاوز الذكريات المدمرة لقمع بالغ الوحشية بقدر ما هو عديم الجدوى تماماً ضد الشعب الأفغاني. وخارج المجال الروسي نجد أن الشباب المسلم الذين تطوعوا بمحض إرادتهم لمواجهة إحدى أكثر مغامرات الحقبة بعد الاستعمارية دموية "و الذين كافحوا بتشجيع ودعم أمريكي في الوقت الذي كانت فيه الصحافة الغربية تصفهم بأنهم (مقاتلو الإيمان) النبلاء" يتعرضون اليوم لحملة وصم بالشر ، منظمة أكثر منها تلقائية. كذلك فإن تجريم كل أشكال التعاطف مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية ينطلق في رأيي من نفس النظرة العمياء. فهل الفرنسي الذي يؤيد كفاح جبهة المعارضة العريضة ضد نظام جزائري أقر مؤخراً حتى رئيس التنظيم (اللاديني) الأكثر (نقاءاً) في أعين الديمقراطيين الفرنسيين بأنه : (أكثر إنتاجاً للإرهاب من الإسلاميين) - يعد (فرنسياً سيئاً) ؟ . وهل الشاب الذي يثور ضد الحظر المفروض على العراق يعد (مواطناً فرنسياً سيئاً) ؟ ، هل يمثل الشاب المسلم الذي يثور على أحادية المعلومات التي تروج وتسود منذ زمن بعيد حول الصراع الإسرائيلي û الفلسطيني أو حول الحرب الأهلية الجزائرية خطراً على الدولة بالضرورة ؟ ، إن أمارات التململ والانزعاج التي يرسلها لنا قسم من مسلمي فرنسا - هؤلاء الذين يستطيعون عمل ذلك لأنه من السهل أن يجد المرء

نفسه في الحجز - يمكن بالمثل اعتبارها بمثابة إشارات مفيدة للغاية. ولو كانت هذه الإشارات لقيت الانتباه مبكراً لكنا تجنبنا الوقوع في شَرَك ما سوف يبدو لنا حتماً في يوم ما المأزق المكلف لتأييدنا للطغمة العسكرية الجزائرية. وقد حاولت أحياناً أن أتتبع رأي الذين يخلطون بين كل الأسئلة ذات الصلة بذلك (الإسلام المثير للمتاعب) وفي نفس أرضيتهم . إن رد الدولة الفرنسية على تجاوزات معينة لفئة - أعيد القول بأنها أقلية - في مجتمعها الفرنسي يكرر نفس الاتهامات ويفتح نفس الفخاخ التي وقعت فيها استجابة الدول العربية لزخم معارضيها الإسلاميين ولقد أدنت دائماً القراءة الاقتصادية الطابع لقوة دفع المعارضين الإسلاميين في العالم العربي والبعد الأمني المحض لردود الدول على الأسئلة المشروعة تماماً التي يثيرها هؤلاء المعارضون ويبدو ـ في انحراف خطير للغاية ـ أن قسماً كبيراً من الطبقة السياسية الفرنسية يحلم وبنفس الطريقة بنوع من (المعالجة الاقتصادية لقضية الإسلام) ، "فالإسلام يمكن بطريقة ما أن يذوب في العمالة" لكن هذه الاستجابة تنحو دائماً لا لشيء إلا لتشجيع العمل الأمني وحده. إنه يقال إن الإسلام قابل للذوبان في الوظائف ، لكنه دائماً (يعامَل) بالضرب القمعي.

المنار الجديد : يبدو أن الأخطاء المتتابعة للدبلوماسية الفرنسية

في العالم
العربي
مثل دعمها
غير
المشروط
للطغمة
العسكرية
الحاكمة
في
الجزائر -
قد أضاعت
مصداقية
صورة
فرنسا إلى
حد كبير
في كل
العالم
العربي
والإسلامي
ولم تكفِ
حقيقة
بعض
المبادرات
التي قام
بها الرئيس
شيراك
تجاه
الشرق
الأوسط
في إعادة
تلك
الصورة
إلى ما
كانت عليه.
هل توجد
في رأيك
استمرارية
أو على
العكس
انقطاع أو
حتى نوع
من
التضارب
في

السياسة العربية الفرنسية الداخلية والخارجية ؟ وعموماً ما هو حكمك على الديبلوماسية العربية لفرنسا ؟ .

- فرانسوا بورجا : إن ديبلوماسية الرئيس شيراك في الصراع الفلسطيني أو على نطاق أوسع في معالجة الملف الليبي أو الإيراني وبالمثل العراقي قد استعادت فعلاً بعض جوانب استقلاليتها ومصداقيتها الضائعة. وقد تبين ذلك من موقف باريس خلال الهجوم الإسرائيلي في أبريل عام 1996 على جنوب لبنان وتأكد ذلك الاتجاه في الإحجام عن زيادة اشتراكها العسكري خلال التهديد (بالضربة الانتخابية) التي قام بها (بيل كلينتون) ضد العراق وفي الاعتدال النسبي في المواقف المتخذة تجاه ليبيا ، لكن هذه النغْمة الجديدة تحتضن دائماً في نظري تناقضاً هائلاً ، إن باريس قد تقر - راغبة - بأن جزءاً من الإحباط الذي تعبر عنه ردود أفعال جماعات سياسية مثل حماس الفلسطينية (حركة المقاومة الإسلامية) أو (حزب الله) اللبناني - ليس بدون أي أساس نظراً للتصلب الإسرائيلي المتغطرس سياسياً وعسكرياً ، لكن فكرة أن الجيل الإسلامي في العالم العربي ربما يكون طرفاً سياسياً مشروعاً لا يبدو أنها قد

لقيت تقبّلاً أبداً ، إننا في الجزائر لم نبتعد في الحقيقة عن خط التأييد للاتجاه الإستئصالي حتى وإن انتهجنا نوعاً من التحفظ المنافق . ويبدو لي هذا الموقف شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام وكأنه يفتح شقاً لا يلتئم بين بلادنا والجيل السياسي الصاعد في جنوب البحر المتوسط. وبوجه عام فإن محاولة الرد الأمنية والمحملة بالشكوك تسمم كامل طيف (السياسة الإسلامية) لفرنسا في الداخل أكثر منه في الخارج ولو كان هذا الموقف مجرد تعبير سلبي عن مخاوفنا الوجودية لما كان التصوير (المرضي) الصارم لمستقبل علاقتنا بالآخر المسلم في الداخل أو في خارج حدودنا ليبعث على القلق الشديد ، إن الميل دائماً إلى الخيار الأمني الذي يسيطر اليوم على استجابت السياسة الفرنسية (للخطر الأصولي) لا يدل فقط على توجه نحو سوء الظن أو تضخّم الذات القومية. لكنه على الأكثر يغذي بطريقة بالغة الضرر العديد من المبادرات (الوقائية) في الداخل وفي الشئون المسماة (بالخارجية) والتي تسهم في مقاطعة وإضفاء الطابع الراديكالي على قسم من البيئة الفرنسية أو من مجموعها الوطني ، كان يجب على العكس أن نبذل كل الجهد لتحسين العلاقة معه . إننا بعد حولنا مخاوفنا من - أن الإسلاميين مثيرو المتاعب - إلى حالة من النبوءة مفادها : (سوف يدفعوننا إلى الحرب) بدأنا في تحويل النبوة إلى حقيقة أو فيما يطلق عليه بالإنجليزية (نبوءة تحقق نفسها). إن النضال اللازم ضد (الإرهاب) يؤدي إلى التهوين من العنف الذي يقع على الآلاف من

تجاوزات خططنا ، من نوع خطة (مراقبة القراصنة) : مثل القيام (بالاستطلاعات الاستخباراتية الشرسة) التي دعا (خبير فرنسي في علم الإجرام) إلى القيام بها بشدة في ديسمبر عام 1996 ضد (الخمسين ألف أصولي) الذين أكد وزير سابق للداخلية صاحب نفوذ أنه نجح في تحديدهم ، ومثل (عمليات الملاحقة للعناصر الإسلامية) التي تؤدي إلى اعتقالات تشهر فيها المصاحف كأدلة اتهام ؟ ، ومثل النداءات العلنية لاستعمال (الأساليب التي لا يقرها القانون لمحاربة الإرهاب الذي لا يعترف بالقانون) .. الخ . وحتى لو اعترفت بأن ذلك الاتجاه طموح للغاية إلا أنني أوقن بأن الاستجابة الفعالة للرد على التهديدات الإرهابية لا يعقل أن تمر عن طريق إحكام الرقابة على شبكة (الإنترنت) أو تشويه صورة الاتحادات الخيرية الإسلامية بلا تمييز أو دعم الإجراءات الأمنية من كل نوع ، بقدر ما تكون عبر الحد من الهيمنة المتغطرسة التي يمارسها معسكر أو جيل سياسي هنا أو هناك على الآخر. وهي تعني على مستوى البحر المتوسط أن تقبل إسرائيل بسلام مشرف ذي مصداقية في نظر غالبية الفلسطينيين ، وهو ما يبتعد اتفاق أوسلو كثيراً عن تحقيقه وليس فقط بسبب إدانة حزب الليكود له. وهي تعني بعد ذلك انفتاح الأنظمة السياسية العربية وبعبارة أخرى إجراء انتخابات حرة حقاً مهما كانت النتائج المتصور خروجها عنها. وتكون هذه الاقتراعات مفتوحة أمام القوى السياسية الحقيقية على أساس برامج قريبة من ذلك الذي أقره - مثلاً -موقعو الميثاق الوطني الجزائري في (سان

ايجيديو) في فبراير عام 1995 وهم الرواد الحقيقيون لمحاربة الإرهاب.ولكن يبدو لي أن خبراء الاستراتيجية الفرنسيين ونظراءهم في مجموعة الدول السبع الصناعية والمنغمسين في أوهام القمع هم أبعد ما يكونون اليوم عن هذا الرأي.